البيمارستان العتيق *

بقلم الدكتور أحمد عيسى بك

الأطباء الذين عملوا فيه :

١ — رضى الدين الرحبي :— هو الإمام العالم رضى الدين أبو الحجاج يوسف بن حيدرة ابن الحسن الرحبي ، كان كبير النفس ، عالى الهمة ، كثير التحقيق ، محباً للخير . كان والده من بلد الرحبة ، وكانت صناعة الكحل أغلب عليه ، وكان مولده بجزيرة ابن عمر سنة ٥٣٤هـ ١١٣٩م ، ونشأ بها وسافر إلى بغداد ، واشتغل بصناعة الطب ، واجتمع أيضاً فى ديار مصر بالشيخ الموفق المعروف بابن جميع المصرى وانتفع به ، وكان وصوله مع أبيه إلى دمشق فى سنة ٥٥٥ هـ ، وكان فى ذلك الوقت ملكها السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى.

واشتغل رضى الدين على مهذب الدين بن النقاش الطبيب ولازمه فقدمه، وتأدت الحال إلى أن اجتمع بالملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فحسن موقعه عنده وأطلق له فى كل شهر ثلاثين ديناراً، ويكون ملازماً للقلعة والبيمارستان بالقاهرة ، وبقى كذلك مدة دولة صلاح الدين بأسرها ، ولما توفى صلاح الدين سنة ٥٨٩ — ١١٩٣، وتولى أخوه الملك العادل أبو بكر بن أيوب ، طلب أن يكون بدمشق، وأطلق له ما كان مقرراً باسمه فى أيام صلاح الدين . ولما توفى الملك العادل ، وتولى بعده الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل، أجرى له خمسة عشر ديناراً ،ويكون متردداً إلى البيمارستان ، فبقى كذلك إلى أن توفى سنة ٦٣١— ١٢٣٣، وعاش نحو المائة سنة ، وكان من محاسن عادات رضى الدين أنه ما كان يقرب الطعام إلا إذا طلبته شهوته . وأنه كان أبداً يتوخى الايصعد فى سلم، وكان يصف السلم بأنه منشار العمر .

وله من الكتب :

(١) تهذيب شرح ابن أبى الطيب لكتاب الفصول لأبقراط .

(٢) كتاب اختصار المسائل لحنين .

٢ — ابراهيم ابن الرئيس موسى — هو أبو المنى ابراهيم ابن الرئيس موسى بن ميمون، منشؤه بفسطاط مصر ، وكان طبيباً مشهوراً ، عالماً بصناعة الطب، وكان فى خدمة الملك الكامل محمد بن أبى بكر بن أيوب ، ويتردد إلى البيمارستان الذى بالقاهرة من القصر

* هذا هو القسم العاشر من سلسلة البحث التى نشرت فى الاعداد السابقة من « المجلة »

ويعالج المرضى فيه،قال ابن أبي أصيبعة: « واجتمعت به في سنة ٦٣١أو٦٣٢هـ بالقاهرة ،وكنت حينئذ أطب في البيمارستان ،فوجدته شيخاً طويلا ، نحيف الجسم ، لطيف الكلام متميزاً في الطب ،توفي سنة نيف وثلاثين وستماية ، وعاش ٨٦ سنة ».

٣ ـ ابن أبي أصيبعة ـ هو الطبيب الفاضل العالم الأديب ، موفق الدين أبو العباس أحمد ابن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة ، ولد بدمشق وكان والده متقناً لصناعة الكحل ، وعمه رشيد الدين علي بن خليفة الذي كان كحالا ببيمارستان دمشق ، وقرأ الحكمة على رضي الدين الجيلي، واجتمع بابن البيطار بدمشق في سنة ٦٣٣هـ ـ ١٢٣٥م ، وشاهد معه في ظاهر دمشق كثيراً من النبات في مواضعه ، وخدم الطب في البيمارستان الذي أنشأه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بالقصر ، ثم دخل في خدمة الأمير عز الدين فرخشاه صاحب صرخد ، وتوفي بها سنة ٦٦٨هـ ـ ١٢٦٩م وقد جاوز عمره السبعين . ولابن أبي أصيبعة من الكتب :

١ ـ كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء ،ألفه في سنة ٦٤٣هـ في مدينة دمشق ، برسم أمين الدولة بن غزال وزير الملك الصالح ابن الملك العادل ، وكتابه هذا غني عن التعريف، وكان عمدتي في تأليف هذه الرسالة .

٢ ـ الشيخ السديد بن أبي البيان ـ هو سديد الدين أبو الفضائل داود بن أبي البيان سليمان بن أبي الفرج ، اسرائيل بن أبي الطيب ، سليمان بن مبارك اسرائيلي قراء ، مولده في سنة ٥٥٦هـ ـ ١١٦٠م بالقاهرة، وكان شيخاً محققاً، خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة، كان يعالج المرضى بالبيمارستان الناصري بالقاهرة ، وكان أقدر أهل زمانه من الأطباء على تركيب الأدوية ، وعلى معرفة مقاديرها وأوزانها، وكان شيخه في صناعة الطب الرئيس هبة الله بن جميع اليهودي ، وقرأ أيضاً على أبي الفضائل بن الناقد ، وكان الشيخ سديد الدين قد خدم الملك العادل أبي بكر بن أيوب ،وعاش فوق الثمانين . وله من الكتب :

١ ـ كتاب الأقرباذين، وهو إثنى عشر باباً ، واقتصر فيه على الأدوية المركبة المستعملة المتداولة في البيمارستان بمصر والشام والعراق، وحوانيت الصيادلة .

٥ ـ القاضي نفيس الدين بن الزبير ـ هو القاضي الحكيم نفيس الدين أبو القاسم هبة الله ابن صدقة بن عبد الله الكولمي (والكولم من بلاد الهند) ولد سنة ٥٥٦هـ ـ ١١٦٠م، وقرأ صناعة الطب على ابن شوعة أولا ، وقرأ بعد ذلك على الشيخ السديد رئيس الطب، وأتقن صناعة الكحل وعلم الجراحة واشتهر بصناعة الكحل ، وولاه الملك الكامل ابن الملك العادل رياسة الطب بالديار المصرية ويكحل في البيمارستان الناصري الذي كان من جملة القصر للخلفاء المصريين ، وتوفي نفيس الدين في سنة ٦٣٦ ـ ١٢٣٨ .

أحمد عيسى